سقوط حاكم الجزيرة

محمود سالم

سقوط حاكم الجزيرة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سقوط حاكم الجزيرة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٩٦٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
في انتظار الأمر!	١١
مهاريشي ... أحمد!	١٥
خلافات حادة!	١٩
عبقرية رام روي!	٢٣
المصيدة!	٢٧
في حراسة القرود!	٣١
البحث عن جاسوس!	٣٥
الاختيار الصعب!	٣٩
الاستغاثة!	٤٣
دولة المها باي!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

في انتظار الأمر!

في استعراضه للنتيجة التي وصل إليها الشياطين في عملية «جزيرة التمساح المقدس». كتب رقم «صفر» في تقريره للمنظمة ما يلي:

(١) ثمَّت علاقةٌ روحية بين جماعة من الهنود ... وتمساح ضخم ... دافع عنهم ... وقتل التمساح الذي كان يُهدِّد أمنهم.

وطارد لهم الأسماك ... حتى تقع في شباكهم أسرابًا.

فراجَت تجارتهم ... وتحسَّنَت معيشتهم.

فقدَّسه أهلُ الجزيرة التي كان يعيش بها.

(٢) عندما شاع صيتُه ... توافد الناس على الجزيرة ... حتى ازدحمَت بهم وضجَّ منهم التمساح ... فغادرهم إلى غيرها في وسط المحيط الهادئ ... يجري بها نبعٌ رقراق عميق الماء ...

فهادر الناس خلقه ... حيث قطنوا هذه الجزيرة الجديدة من أجله، وأطلقوا عليها جزيرة التمساح المقدس.

(٣) علمَت عصابةُ «سوبتك» بالأمر ... فأرسلت إليها العديدَ من رجالها محمَّلين بالكثير من المعدات والأجهزة الحديثة والأغذية والأدوية وكل ما يقرِّبهم إلى سكانها، وأعطاهم ذلك الفرصة لأن يُنشئوا حكومة ... هم أعضاؤها ... وأن يختاروا كبيرَهم حاكمًا لها.

(٤) قامت باستغلال أبنائها في تنفيذ عمليات اغتيال وتفجير منشآت حول العالم بدعوى أن أصحابها يُهينون ديانتهم في عبادة التمساح المقدس ويعرضونهم لغضبه إن لم ينتقموا له.

(٥) نمَا إلى علم الأجهزة الأمنية في «مصر» أن مجموعة من أتباع «سوبتك» أتَوا إلى «مصر» لاغتيالِ عددٍ من رجال الأعمال كانوا ينوون إنشاءَ مزرعة لتربية التماسيح للحصول على جلودها.

(٦) قررت المنظمة إرسالَ مجموعة الشعاع الثاقب المكوَّنة من «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» و«ريما» لقلب نظام الحكم في الجزيرة ... والقبض على جماعة «سوبتك» أو تصفيتها.

(٧) نجحَت مجموعةُ الشعاع الثاقب في التغلُّب على رجال «سوبتك» ... وضم أحد الهنود المعادين لعبادة التمساح إلى صفِّهم ... واستخدام الجزيرة الصغيرة التي يعيش عليها كقاعدة للانطلاق منها.

(٨) أيضًا نجحوا في ضمِّ أحد المحاربين إليهم ويُدعى «رام روي» وهو قائد كتيبة كاملة قام «الشياطين» بأسرها ثم عفوا عنهم لينضموا لهم مع قائدهم.

النتيجة:

يجب الاتصال بـ «أحمد» لإعطائه إشارةَ البدء في النصف الثاني من العملية وعلى جزيرة «راجيف باي» كما أسمَتها «إلهام» كان الجميع يتحرقون شوقًا لمعرفة نهاية هذا الموقف الذي يقفونه ... ويرون أن بيد «أحمد» الذي كان منتظرًا اتصال رقم «صفر» للحصول على إشارة البدء في إتمام العملية.

وعرض عليه «باي» أن يُعدَّ لهم كهفًا كبيرًا بالجزيرة كقاعدة استقبال، يجتمع فيها مع المحاربون الأسرى وقائدهم «رام روي» ... على أن يبقى بينهم هو مترجمًا.

ولفت نظرَه ابتسامةٌ ماكرة تلمع في عينَي «عثمان» ... فجاوبه بابتسامةٍ وقورة وهو يسأل «راجيف» قائلًا: وما الغرض من هذا الاجتماع يا «باي»؟

راجيف: أعتقد أنك تعرف يا سيد «أحمد»!

أحمد: لا ... ليس عندي فكرة ... ولو كان عندي فكرة ... فأعتقد أنها غير التي تدور برأسك ...

راجيف: ليس الأمر سرابًا يا سيد «أحمد» ... المقصود من هذا الاجتماع هو تشكيل حكومة في المنفى.

أحمد: حكومة لمن ... ولماذا ... ومَن أعضاؤها؟

راجيف: يا سيد «أحمد»، أليس هدفُك الأساسي هو تخليصَ شعب جزيرة «التمساح المقدس» من حكم عصابة «سوبتك».

أحمد: نعم ...

راجيف: إذن كيف سنُسقط الحكومة دون وجود حكومة بديلة؟

أحمد: ليست هذه مهمتي. إن مهمتي محددة ... وهي إسقاط نظام الحكم ... والقبض على العصابة الحاكمة.

راجيف: ثم نترك الجزيرة في حالة فوضى ... ليتحكم في أهلها اللصوص؟!

أحمد: أكان لها قبل عصابة «سوبتك» عصابة وحاكم؟

راجيف: لا ... ولكنهم الآن تعودوا على ذلك ... هذا غير مَن ستتركه العصابة من أعوان ... لهم من نفس أخلاقهم.

أحمد: سأنتظر حتى يتصل رقم «صفر» وأعرض عليه الأمر.

ووجد «عثمان» نفسَه مندفعًا للتدخل في الحديث قائلًا لـ «أحمد»: إذن فهناك ما نفعله إلى أن تحصل على موافقة الزعيم.

إلهام: نعم يجب أن نستفيد من الوقت.

أحمد: أنا لا أُمانع.

راجيف: إذن سأُعدُّ لكم قاعة الاستقبال.

أحمد: ومَن سأستقبل فيها؟

راجيف: «رام روي»!

إلهام: زعيم المحاربين الهنود؟

راجيف: نعم.

أحمد: لماذا؟

راجيف: إن لهذا الرجل ومَن معه عائلات.

عثمان: نعم ... نعم ... إخوة وأبناء وزوجات.

ريما: وأصدقاء وجيران.

راجيف: أي إن كلَّ واحدٍ منهم بمائة إن لم يكن أكثر.

فنظر له «أحمد» مستنكرًا ... فلم تُعجبه نظرته ... واستطرد قائلًا: لكل رجل من أولئك عشرة إخوة تقريبًا ... ومثلهم أبناء ... هذا غير الأعمام ... وغيره ...

إلهام: معك حقٌّ إن الرجل منهم بمائة.

ريما: أي أن لدينا الآن شعبًا.

إلهام: ولكن لا تنَسوا احتمال الخيانة ...

أحمد: تقصدين أنهم الآن يراوغوننا؟
إلهام: إني أقول إنه احتمال.
أحمد: ولكنه احتمال مخيف.

مهاريشي ... أحمد!

بعد فترة انشغل فيها «راجيف» في إعداد قاعة الاستقبال فوجئ به الشياطين يدخل عليهم قائلًا وهو ينظر لـ «أحمد»: «مهاريشي أحمد».

لم يعلِّق «أحمد» وإنما لم يحول عينَيه عنه ... وظل ناظرًا له في دهشة إلى أن سألَته «إلهام» قائلةً: مَن «مهاريشي»؟

ولم يتمالك نفسَه من الضحك على الطريقة التي ألقَت بها «إلهام» السؤال ...

وسأله من بين ضحكاته قائلًا: مَن «مهاريشي ... أحمد مهاريشي»؟

وهنا صاحَت «ريما» وهي تضحك قائلة: يا جماعة انتظروا ... إن «باي» لا يقصد ...

وضحك «باي» على ضحكهم ثم قال لهم: «مهاريشي» تعني العالمَ والقديس العظيم.

أحمد: أنا لستُ قديسًا ولا عالمًا ولا عظيمًا.

إلهام: لقد ذهب إلى الكهف وأتى بهذه الحقيقة.

عثمان: لقد عثر على أحد مؤهلاتك هناك.

ريما: أو الوحي ... نعم إنه الوحي أتاه في الكهف وأنبأه بذلك ...

كان «باي» يتابع ما يقولون بابتسامة عريضة ... إلى أن قال له «أحمد»: أنا أفهم ما تقصده يا «باي».

راجيف: إن الناس لكي يصدقوك ... يجب أن يعلموا عنك أنك قديس أو عالم أو عظيم ... وأنت لديك من المواهب والعلم والقدرات ما يؤهلك لتمثيل هذا الدور ... بل للقيام به على خير وجه.

أحمد: ويتركون التمساح ويعبدونني أنا ... أليس كذلك؟

راجيف: لا ... القديس لا يُعبد ... بل يُحترم ويُقدَّس ... وكلامه نافذ ... ونبوءاته تصدق ...

أحمد: إنه دور خطير.

راجيف: لا تقلق ... فسأكون أنا «سانيازي باي».

عثمان: لم ننتهِ من «المهاريشي» بعد يا «باي»؟

باي: إن «السانيازي» ... تعني الناسك ... وسأتحدث باسم القديس عنه، وسأترجم لكم ولهم ما يقول.

أحمد: وكيف سأثق بك ... وبأنك لن تقول باللغة الهندية ما يضرُّنا؟

باي: ولمَ أفعل ذلك وقد أتيتَ لإنقاذنا؟

في هذه اللحظة وخزَت رسغةُ ساعةِ يده ... فعرف أن رقم «صفر» يطلبه ... فوضع على أُذُنَيه سماعتَين دقيقتَين متصلتَين بالساعة ... وضغط زرَّ استقبال المكالمة ... فبادره الزعيم قائلًا: مساء الخير «مهاريشي أحمد».

فقال «أحمد» وهو يضحك: كيف عرفت يا زعيم؟

رقم «صفر»: عرفت ماذا؟

أحمد: بموضوع «المهاريشي»؟

رقم «صفر»: هل جعلوك «مهاريشي»؟

أحمد: إنه حتى الآن اقتراح.

رقم «صفر»: اقتراح مَن ...

أحمد: «راجيف باي»!

رقم «صفر»: إنه عبقري ... ولا تنسَ أنه قريبٌ منَّا إلى شعبه ... ويعرف كيف يفكرون.

أحمد: ولكن لم تُخبرني كيف عرفت؟!

رقم «صفر»: أنا لم أعرف شيئًا ... إنها خطة وضعناها لتعاملك مع المعارضين لحكم «سوبتك»!

أحمد: إن «باي» قال ذلك أيضًا ... وقد اختار أن يقوم بدور «سانيازي».

رقم «صفر»: ألم أَقُل لك إنه عبقري؟!

أحمد: أكان هذا أيضًا في خطتكم.

رقم «صفر»: نعم.

أحمد: أي أنك تأمرنا أن نبدأ؟

رقم «صفر»: حالًا.

أحمد: سأعقد اجتماعًا الآن مع المحاربين الأسرى.

رقم «صفر»: وفقكم الله ... بلِّغ الجميع تحياتي.

ضحك «عثمان» وهو يقول تعليقًا على المكالمة: لقد أصبحت «مهاريشي» دولي ...

راجيف: هل كان هذا زعيمكم؟

أحمد: نعم ...

راجيف: هل شرحت له الخطة؟

أحمد: ووافق عليها.

انشرح صدر «باي» وانفرجَت أساريرُه، وقال في سعادة: هل قلت له إنني صاحبها؟

أحمد: نعم ... وقال إنك عبقري.

راجيف: إذن ... فلنبدأ.

وسار في اتجاه الكهف ... ومن خلفه الشياطين. وما إن أبلغوه حتى سأله «عثمان» قائلًا: أين قاعة الاستقبال يا «باي»؟

راجيف: إنك تقف داخلها.

واندهش «الشياطين» عندما لم يجدوا بهذا المكان الفسيح أثاثًا ... أو أي شيء يستحق هذا الوقت الذي قضَوه في انتظاره!

واندفع «عثمان» يسأله في غيظ قائلًا: هل هذا إعداد القاعة يا «باي»؟

راجيف: نعم يا سيد «عثمان».

عثمان: وأين الكراسي والمائدة المستديرة وغيره؟

راجيف: وهل كان لديَّ حاجة لكل ذلك من قبل حتى تجدَه عندي؟!

أحمد: أعتقد يا «عثمان» أن المكان كان مشغولًا.

راجيف: نعم ... وقد استنفذ مني مجهودًا جبارًا لإعداده.

ريما: مشغولًا بماذا؟

راجيف: لا داعي.

ريما: لا ... قل ...

راجيف: لا يهم الآن ...

وأثار إصرارُ رفض «باي» ... فضول «ريما»، فأصرت إلا أن تعرف ما يُخبئه.

خلافات حادة!

كان «راجيف» يصاحب بعض القرود ... لقد كانت الشيء الوحيد على الجزيرة الذي يفهمه ... وكانت تسكن هذا الكهف الذي قام بإعداده كقاعة استقبال لـ «المهاريشي أحمد».

وقد أزعج «إلهام» جدًّا ما قام به «راجيف» ... فهي ترى أن هذه القرود لا ذنب لها فيما يجري ... حتى يقوم بإزعاجها على هذا النحو.

ومثلها تعاطفَت «ريما» مع القرود مما أحزن «باي» ... وقد لاحظ «عثمان» ذلك، فقال له: لا تحزن يا «باي» يمكنك تدارك الأمر وإعادة القرود.

راجيف: أنا لست حزينًا من أجل القرود ... أنا حزين لأجلنا نحن.

أحمد: لا أفهم يا «باي».

راجيف: لقد انحزتم ككل القرود ... وأنساكم تعاطفكم معها قضيتنا.

وشعرَت كلٌّ من «إلهام» و«ريما» بالخطأ الذي وقعَا فيه دون قصد ... فقد كانت عليهما أن يُغالبا مشاعرهما ... وأن يقدرَا خطورة موقف «باي» وأهله. ومن خارج القاعة إلى جلبة أحدثها بعضُ الرجال وهم يُهرولون ويتصايحون باللغة الهندية. والتفت الجميعُ إلى «باي» الذي قال مترجمًا لكلٍّ منهم: الجزيرة محاطة من كل ناحية بالزوارق والرجال.

أحمد: واليخت ... أين اليخت الخاص بنا؟

عثمان: لقد تركت لـ «باي» مسئولية إخفائه.

راجيف: اليخت في أمان.

أحمد: أين؟

راجيف: لقد أدخلته كهفًا مغمورًا في الماء.

اندهش «أحمد» لما سمعه؟ وسأله مستفسرًا بقوله: كهف مغمور في الماء؟

راجيف: نعم إنه ليس له قاعدة ...

أحمد: ما رأيك يا «عثمان» فيما يقوله «راجيف باي»؟
عثمان: أنا أرى أن نستفيد منه في فكِّ هذا الحصار.
أحمد: أنا أقرأ ما يدور في ذهنك.
إلهام: أريد أن أفهم يا سادة.
عثمان: سنجعل هذه المنطقة الخفية قاعدةً لانطلاق رجالنا.
أحمد: مَن هم رجالنا؟
راجيف: رجالنا «رام روي».
إلهام: إننا لم نتحدث معهم بعد.
راجيف: يكفي أن نتحدث مع «رام روي» ويقتنع.
عثمان: هل ترى أن هذا أمرٌ يسير؟
راجيف: إنكم تملكون الحجة القوية وأنا سأخترع بعض الحكايات وأروِّجها بين رجاله.
أحمد: لا ... بل أنت معنا لتترجم لنا ... وله.
راجيف: أتقصد أنك وافقت؟
أحمد: ليس لدينا خيارٌ آخر ... وأرجو أن تستدعيَه.
وكان «روي» في انتظار هذه اللحظة ... فلم يترك «باي» ليتمَّ كلامه ... وسبقه إلى الكهف ... وما إن رأى «أحمد» حتى أحنى رأسَه احترامًا له وتقديرًا.
ولاحظ ذلك «باي» الذي كان يقف خلفه ... فأدرك أن طريق «أحمد» مفتوحٌ لقلب هذا الرجل ...
وبدأ «روي» الكلام قائلًا: المحاربون في كل مكان حول الجزيرة ... وأنا ملتزم بالدفاع عنك ... ولكن ليس معي من الرجال ما يكفي لمحاربةِ كلِّ مَن يحيط بالجزيرة.
أحمد: وماذا ترى؟
روي: سأدافع عنك أنا ورجالي حتى الموت، ولكن ماذا ستفعل أنت بعد ذلك؟
أحمد: إن الله معنا يا «روي».
توقَّف «راجيف» عن الكلام ... ونظر له «أحمد» يحثُّه على ترجمة ما قاله ... ولكنه أبى ... فقال له في حزم.
– لماذا لم تترجم له ذلك؟
راجيف: لم نتفق على ذلك.

أحمد: على ماذا؟

راجيف: لا دخلَ لنا بإلهكم.

أحمد: ألَا تثق في قدرتي على إقناعه.

راجيف: نعم ... ولكن لتُبعده عن عبادة التمساح فقط ... لا لتدخله في ديانتك.

أحمد: الحركة حول الجزيرة تزداد ... وقد ينقضُّ علينا المحاربون الآن ويقتلوننا.

شعر «روي» بالقلق مما يجري بين «أحمد» و«راجيف باي»، فغادر المكتب منفعلًا وترك الشياطين في حالة قلق عارمة ... ولم يتمالك «أحمد» نفسَه فصرخ في «راجيف» قائلًا: أرأيت ما فعلت ... إن مصيرك الموت معنا ... إن غادر «روي» «الجزيرة».

لم ينطق «باي» بل طرق برأسه في الأرض مما أثار «عثمان»، فقال له «راجيف»: ألم نتفق على أن تعمل معنا تحت قيادة «أحمد»؟

راجيف: نعم ... ولكني مستشاره!

عثمان: وهو القائد. ونحن في حالة حرب وعلينا أن نُطيعَه.

راجيف: لن أطيعَه إن عمل ضد عقيدتي.

أحمد: أكل ذلك لأنني قلت له «الله» معنا؟!

راجيف: إنها البداية.

ورأى «أحمد» أن التشبُّثَ بالرأي في هذا الوقت لن يُفيدَه ... فـ «راجيف» بيده كلُّ أوراق اللعبة، فقال له: اعتذر يا «راجيف» ...

راجيف: لا يا سيد «أحمد» ... لا أقصد ذلك.

عثمان: لا يهم هذا الآن، المهم أن تلحق «رام روي» قبل أن يلحق بأعدائنا.

إلهام: وماذا سيقول له عن المناقشة الحامية التي دارَت بينكما يا «أحمد»؟

راجيف: سأقول له إنك كنت رافضًا الحرب ... حتى لا تعرضَه هو ومَن معه للموت.

أحمد: وأنت كنت ترى عكس ذلك؟

راجيف: نعم.

أحمد: فكرة جيدة ... ولكن أسرع الآن لتلحق به.

وخرج «راي» يُهرول ومن خلفه «عثمان» و«ريما» ومكث هو يدرس مع «إلهام» إمكانيةَ دخول الحرب بهذه الإمكانيات القليلة ... وبهذا العدد من الرجال.

عبقرية رام روي!

لم تكن الجزيرة كبيرة ... كي يستغرقَ البحثُ فيها وقتًا طويلًا، لكن الطلقات التي تعرَّضوا لها من رجال «سوبتك» هي التي صعَّبَت مهمَّتَهم.

إلا أنها لم تُثنِهم عن البحث عن «رام روي» ورجاله ... وقد طال البحث دون جدوى، فعادوا إلى «أحمد» يطلبون منه ألَّا يضعَهم في خطته.

وشعر «راجيف» بخطورة الموقف بعد الحيرة التي رآها في عينَي «أحمد» و«إلهام»، وطلب منهم أن ينسوا الأمر ... وأن يعودوا من حيث أتَوا ... وشكرهم على شعورهم الطيب.

ولم تحتمل أعصابُ «أحمد» المزيدَ مما يقوله: «باي»، فصاح قائلًا: اصمت يا «راجيف»، نحن لم نأتِ هنا من أجل شعور طيب ... نحن أتينا إلى هنا لأن هذه العصابة التي تحكمكم ... تُهدد مصالحنا في كل مكان.

وإذا رضينا عن أن تكون لها دولة ... فستكون أكثر خطورة ... وسيكون ردْعُها بعد ذلك صعبًا.

راجيف: وماذا نستطيع أن نفعل ونحن خمسة أفراد فقط ... وهم بهذه الكثرة؟

أحمد: وكيف ستُخرجنا أنت من هنا وهم يُحيطون بالجزيرة؟!

راجيف: سنختبئ في جيب صخري قريب من هنا لا يمكن لأحدٍ الوصول إليه ...

أحمد: تقصد أننا سنتركهم يقتحمون الجزيرة؟

راجيف: نعم ... وسننتظر حتى يُصيبَهم اليأس في العثور علينا ... ويعودوا من حيث أتَوا ...

ابتسم «أحمد» معجبًا بطريقة تفكير «باي»، وارتاحَت «ريما» كثيرًا لهذه الابتسامة، غير أن «عثمان» كان مشغولًا بأمر اليخت الذي سيعثرون عليه أثناء بحثهم ... فطمأنه «باي» أنه سيترك أمره للقرود!

وصاحَت «ريما» في دهشة قائلة: ألا زالت القرود هنا؟

راجيف: قريبة من هنا ...

ريما: أين؟

راجيف: على سطح اليخت.

فصاح فيه «أحمد» قائلًا: لماذا يا «راجيف»؟

راجيف: لا تخشَ شيئًا ... لقد تركتهم هناك ليحرسوه لك.

أحمد: وهل معهم بنادق؟

راجيف: لا ... معهم قنابل يدوية.

عثمان: هل أنت جادٌّ فيما تقول؟!

راجيف: نعم ... إنها لا تستطيع الإمساك بالبندقية ... ولكنها ماهرة في رمي القنابل.

إلهام: وكأنها ثمرات جوز الهند.

راجيف: إنها مصنعة من ثمرات جوز الهند الفارغة.

أحمد: إنك قائد عسكري ماهر.

ريما: وكيف ستفرق القرود بين أصدقائك وأعدائك.

راجيف: إذن فلنتحرك؛ فأنا أسمع أصوات المحاربين يغادرون قواربهم.

سار «الشياطين» خلف «راجيف» حتى وصلوا إلى بركة ماء صغيرة ... فنزل فيها و«عثمان» يسأله: إلى أين يا «باي»؟

راجيف: انزل خلفي في صمت ...

والتزم «عثمان» الصمت ... ونزل من خلفه «ريما» و«إلهام» وأخيرًا «أحمد».

وكما فعل «راجيف باي» فعلوا وغاصوا تحت الماء إلى أن وصلوا إلى جيب سحري في جدار البركة ... دخله «باي» وهم من خلفه ... وبعد أن زحفوا لمسافة نصف كيلومتر تقريبًا في مسار دائري ... وجدوا أنفسهم يصعدون إلى أعلى حتى وجدوا فتحةً كفوهة البركان ... يدخل منها الهواء والضوء، وسمعوا جلبة تحيط بهم من كلِّ مكان ... فتخيَّلوا أول الأمر أن الهواء يحمل لهم أصواتَ الجنود المحيطة بالجزيرة.

إلى أن خرج لهم «رام روي» من فتحة بجوار الكهف ... وأخبرهم أن الكثير من الفتحات الأخرى تنتشر على جدار الكهف وقد اتخذها جنودُه ثكناتٍ لهم.

اندهش «الشياطين» كثيرًا ... للعبقرية الفطرية التي يتمتع بها هؤلاء المحاربون ... فقد أحالوا الجزيرة الصغيرة إلى قلعة حصينة.

ولم يكن «باي» أقلَّ منهم دهشة ... وعندما سأله «أحمد» عن الخطوة التالية ... قال له إنها بدأت بالفعل ... ولم يتبيَّن ماذا يقصد بأنها بدأت بالفعل ... إلا عندما سَمِع أصواتًا تتصايح على سطح الجزيرة ... فسأله قائلًا: ومَن هؤلاء؟

راجيف: إنهم رجال «سوبتك»!

أحمد: هل بدءوا الهجوم؟

راجيف: نعم ... وقد يعرفون موقعنا.

أحمد: وهذا ما نريده.

عثمان: أنا لا أعتقد أن أحدًا من هؤلاء يمكنه الوصول إلى هنا.

ريما: وأنا أرى ذلك ... فالطريق إلى هنا يبدأ من تحت بركة ماء.

أحمد: ولكن «رام روي» استطاع أن يصل!

راجيف: لقد اتفقنا على أنه عبقري!

أحمد: قد يوجد بين أولئك المحاربين عبقريٌّ.

راجيف: لن يَصِل في البركة إلى شيء ... فقد سددت بداية الممر.

عثمان: وماذا سنفعل بهم وهم بأسفل؟

إلهام: ماذا تقصد؟

عثمان: أن نستدرجهم إلى هنا ... ونصطادهم فرادى.

راجيف: الأمر ليس بهذه السهولة ... فهؤلاء المحاربون يستشعرون الخطر عن بعد ...

عثمان: ولكننا في موقع قوة ... يمكِّننا من السيطرة على المكان.

وعلَت في هذه اللحظة أصواتُ جلبة في الممر الموصل إليهم ... وعلَت وجوهَهم جميعًا الدهشة ... ولزموا الصمت ... انتظارًا لما ستُسفر عنه اللحظات القادمة ...

ولم يتمالك «عثمان» نفسَه فسأل «راجيف» قائلًا: مَن هؤلاء يا «باي»؟

وشعر «أحمد» بما يدور في رأس «عثمان»، فأجابه بالنيابة عن «راجيف» قائلًا: إنه عبقري آخر ...

المصيدة!

انتاب القلقُ «عثمان» بعد اقتحام رجال «سوبتك» للممر ... فهو يظن أن «باي» ترك لهم دليلًا يُرشدهم للمكان ... بعد ما حدث من خلافات بينه وبين «أحمد».

إلا أنه تراجع سريعًا عن هذه الظنون ... فقد رأى أنه من غير المعقول أن يؤديَ بنفسه إلى التهلكة ... ذلك أن رجال «سوبتك» إن تمكَّنوا منهم ... لن تفرق بنادقُهم بين رجل وآخر.

وازدادَت الجلبةُ قربًا منهم ... وهمس «رام روي» يطلب منهم الإذنَ بإطلاق النار ... ووضع جميعُ رجاله مواسير بنادقهم في فوهة مخابئهم استعدادًا لإطلاق النار.

وطلب منه «أحمد» أن يُقللوا عددَ القتلى قدرَ ما استطاعوا ... على أن يأسروا الباقين ثم رفع صوته قائلًا: هؤلاء أفراد جيشنا الذي سنواجه به جماعة «سوبتك».

ولاقَى هذا الأمر الاستحسان من «باي» و«رام روي» وكل رجاله.

فهم لأول مرة يجدون قائدًا تهمُّه أرواحهم وأرواح آلهم ... حتى ولو كانوا مختلفين معهم.

وقبل أن يصل أول رجال «سوبتك» إلى موقعهم ... كانت فكرة الخطوة القادمة قد اختمرَت في ذهنهم ...

فتسلَّل أحدُ رجال «رام روي» من طريقٍ خفيٍّ يمرُّ على سطح الهضبة التي تعلو الجزيرة إلى قاعدتها ... ومنها تسلَّل خلسةً إلى بركة الماء ... ليزرع لغمًا بجوار فتحة الممر بعد أن ألقى قنبلةً مسيلة للدموع بداخله ... ثم ذهب إلى حيث يوجد اليخت، فرأى مجموعة من القردة مستلقية عليه في حالة استنفار، فأسرع يُخرج لها قطعَ جوز الهند المقشرة ... فزاغ بياضها في عينهم ... فاستقبلوه أحسن استقبال.

وكانت هذه أحد أسرار «باي» مع قروده ... وقد أطلع عليها هذا المحارب للضرورة.

وسمحَت القرود للمحارب أن يدعَ اليخت بعيدًا عن الجزيرة ... حتى أصبح على مرمى بصر «أحمد» ... فتمكَّن من إدارته بجهاز التوجيه عن بعد.

وبهذا أصبحَت لهم السيطرة على الجزيرة من أعلى ومن أسفل.

أما جنود «سوبتك» فقد حوصروا بين قوسين.

وفي الممر المؤدي من البركة إلى قمة الهضبة ... حيث الشياطين والمحاربون.

ازدحم رجال «سوبتك» يتدافعون وهم يصيحون صيحات مخيفة.

ومن خلفهم ... يتسرَّب الغاز المسيل للدموع ... الذي ينطلق من القنبلة التي ألقاها المحارب.

وما إن لفَّهم الغاز ... حتى تعالَت أصواتُ سعالهم وبصاقهم ... وتصايحهم الفزع وتدافعهم إلى أعلى هربًا من جحيم الغاز ... وطلقات بنادقهم العشوائية.

وما إن ظهر أولهم لـ «رام روي» حتى لحقه بطلقة ... تدحرج بعدها إلى أسفل ... ليسدَّ الممر على زملائه.

وما إن شعروا به حتى غيَّروا طريقَهم عائدين من حيث أتَوا ... إلا أنهم فوجئوا بنهاية الممر مسدودة فتملَّكهم الفزعُ والإعياء من الغاز المسيل للدموع.

وفي دفعة رجل واحد ... دفعوا بقوة الصخرة التي تسدُّ أسفل الممر حتى استطاعوا أن يُزيحوها ... فما كان مصير أولهم ... إلا أن يتعثر في اللغم الذي زرعه المحارب فتطايرَت أشلاؤه خارج مياه البركة.

وتمكَّن الفزع من بقيتهم ... فهرولوا يخرجون من الممر رافعي أيديهم وبها البنادق ولمحهم «الشياطين» من أعلى فصاحوا فيهم أن يُلقوا بنادقهم ... فلم يفعلوا ...

فقال لهم «راجيف»: إنهم لا يفهمون الإنجليزية ... ونادى عليهم هو بأعلى صوته قائلًا: يا أبناء جزيرة التمساح ... لقد أتيتم لتُحاربوا مَن ... هل تعرفون؟

ران الصمتُ على الجميع ... فاستطرد قائلًا: إنكم تحاربونني أنا ... فهل تعرفون مَن أنا؟

لم يُجِب أحد منهم ... فأكمل قائلًا: أنا واحد منكم هندي ... ومعي إخوة لكم هنا ... وقد يكون من بينكم ابنُ عم لي ... أو لواحد منهم ابن خال أو قريب أيًّا ما يكون.

وسنقاتل ... وسيحرص كلُّ واحد فيكم على أن يقتل الآخر دون أن يعرفه ...

إنني أنا «راجيف باي».

وفي هذه اللحظة ارتجَّت الجزيرة من تأثير صيحتهم وهم يقولون: الخائن.

وبُهت «راجيف باي» ... وعمَّت الدهشة الشياطين ... وخافوا جميعًا من أن يسمع «رام روي» ورجاله هذا ... ويصدقوه ... وينتهي الأمر بمقتل الجميع ...

فقال له «أحمد»: لن يُجديَ النقاشُ الآن يا «باي» وهم في هذه الحالة ... وبأيديهم البنادق ...

علينا الآن أن نمتصَّ حماسهم ... قبل أن نتكلم معهم في شيء ...

راجيف: كيف؟

أحمد: آمرهم أولًا بأن يُلقوا ببنادقهم.

وما إن تلقَّى «باي» الأمر من «أحمد» حتى صاح بقوة وحزم قائلًا: كيف ترفعون أيديَكم مستسلمين ... وأنتم تُمسكون بالبنادق؟!

ثم قال بلهجة آمرة: ألقوا أسلحتكم.

وانطلقَت في هذه اللحظة رصاصة مرَّت بجوار أُذُنه ... فأمره «أحمد» أن يُعطيَ أمرًا للمحارب الموجود على ظهر اليخت ... أن يُلقيَ قنبلة يدوية بالقرب منهم.

فأوصل «باي» الأمرَ إلى «رام روي» ... الذي أشار بيده للمحارب ... فطارَت قنبلة من يد أحد القرود ... لتستقرَّ على أرض الجزيرة.

وفي الوقت الذي ارتفع فيه صوتُ الانفجار ... ألقى كلُّ رجال «سوبتك» ما بأيديهم من بنادق.

ومن الممر السري الخلفي ... هبط المحاربون وخلفهم الشياطين ...

واقتادوا رجال «سوبتك» إلى قاعة الاستقبال.

ثم جلسوا القرفصاء ...

وطلبوا منهم أن يضعوا أيديَهم متشابكة فوق رءوسهم.

وأحاط رجالُ «رام روي» بالقاعة لحماية الشياطين.

ودخل «راجيف» عليهم ... ملصقًا كفَّيه ببعضهما تحت ذقنه يحميهم ... ثم قال لهم: منذ متى ونحن على عقديتنا؟

فلم يردَّ أحد ... فأكمل قائلًا: منذ مئات السنين ... ولم يُغيِّرها شيء ... فماذا حدث لكم؟

فرفعوا جميعًا عيونهم ينظرون إليه نظرةَ اتهام ... أثارَته ... فصاح فيهم قائلًا: أتعرفون مَن «راجيف باي»؟

– إنه «سانيازي» هذه الجزيرة.

وهذا هو «مهاريشي أحمد».

في حراسة القرود!

وشعر «أحمد» بأن «باي» سيصل مع رجال «سوبتك» إلى نتيجة.

لذا ... فقد دخل القاعة بمجرد أن سَمِع اسمه ... وسط صياح رجال «رام روي» وهم يقولون: «مهاريشي أحمد» ... «مهاريشي أحمد».

وبمجرد دخوله ... وقف جميعُ مَن بالقاعة ... وهم ما بين متسائل ومصدق ...

وما إن لمحه «باي» حتى انحنى له في خشوع وهو يقول: «مهاريشي أحمد».

فردَّ عليه «أحمد» قائلًا: «سانيازي باي».

وهي درجة دينية عندهم ... يُعطي لصاحبه الهيبة والوقار ...

واعتدل «باي» وتوجَّه إلى رجال «سوبتك»، وقال لهم: مَن لديه سؤال منكم ... سيجد إجابته عند «المهاريشي أحمد».

ومَن لم يجد لديه الإجابة ... أو لم يقتنع ... فسنُطلق سراحه فورًا.

بل سنُعيد إليه قاربه ... ليعود به إلى جزيرته.

شعر الجميعُ بالراحة ... وقد ظهر ذلك على وجوههم.

ومن خارج القاعة ... أشارَت «إلهام» لـ «أحمد» ... فتحادث قليلًا مع «باي» ... ثم تركه ليقول لهم: لكي نستطيعَ أن نستمعَ إلى صوت عقولنا ... يجب أن نُسكت جوعنا.

هكذا قال «المهاريشي أحمد».

ثم أكمل قائلًا: اجلسوا وسوف يأتيكم الطعام ...

ومن مياه المحيط ... كان صيد رجال «رام روي» وفيرًا.

وقد كان من بينهم طهاةٌ ماهرون.

وقد أعجب الطعام الجميع ...

وتبدَّلت نظراتُ التحدي والكره إلى نظرات المودة واللين والرغبة في الفهم.

ودارَت أحاديث قصيرة بين رجال «رام روي» ورجال «سوبتك» أثناء الطعام.

فرأى «أحمد» أن يقدموا لهم الشاي بعد ذلك ... وأن ينضموا إليهم جميعًا.

ورفض طلبًا لـ «باي» بأن يستأنفوا النقاش ... فالمهم عنده أولًا ... هو إبعاد روح العداء تمامًا عنهم ...

وطلب من «عثمان» أن يحاول التقرُّبَ منهم وأن يُضفيَ على اجتماعهم جوًّا من الفكاهة. فانفجر في الضحك وهو يقول له: فكاهة ماذا يا «مهاريشي» وهم لا يفهموننني.

ألا تعرف أن الفكاهة لغة ... إنك حقًّا لـ «هاريشي».

وانفجرَت «ريما» في الضحك ... وكان «راجيف» يقف بينهم ... فسألهم عما يُضحكهم ... فهو لا يعرف اللغة العربية ... فقال له «عثمان»: إنه يريدني أن أُرفِّهَ عنهم.

راجيف: لا داعي لذلك ... سأطلب من «رام روي» أن يختار أحد رجاله ليغنِّيَ لهم ...

أحمد: لا، أنا أريدهم أن يغنُّوا جميعًا.

راجيف: سيحدث.

وأعجبَت الفكرة «رام روي» وقد أصبح ضلعًا في مثلث القادة الذي يجمع «أحمد» و«باي» وأخيرًا هو ... وعلى إيقاع تصفيقهم نعسَت عيونُ الكون ... ونامَت الشمس وأيقظ السمرُ ليلَهم ... وقد اكتظَّت بهم القاعة ... وعلى ظهر اليخت جلس الشياطين و«راجيف» و«رام روي» ومعهم قائد جماعة «سوبتك» وقد عرفوا أن اسمه «ديفداتا».

ودار بينهم نقاشٌ طويل لم يشعروا معه بالوقت ... إلى أن نبَّهَتهم «ريما» إلى أن عملًا كثيرًا ينتظرهم في الصباح ... وأن عليهم أن ينالوا قسطًا من النوم.

واحتموا سويًّا بإحدى غُرَف اليخت ... عدا «إلهام» و«ريما»؛ فقد اتخذتَا غرفةَ قيادته مكانًا للنوم.

ونام الجميع في حراسة قرود «راجيف باي».

وقد كانت شديدةَ اليقظة.

ومع أول خيوط الفجر ... أيقظ «عثمان» ضجيجٌ شديدٌ وجلبة تُحدثها القرود ... فاندفع يقفز فوق سطح المركب شاهرًا مسدسه ... إلى أن رآها تسير إلى الماء ... فلمح رجلًا يسبح مبتعدًا عن الجزيرة ...

فسحب أمانَ مسدسه. وصوَّبه إليه ...

وعلى صوتِ طلقته ... استيقظ جميعُ مَن باليخت.

وقبل أن يُطلق التالية ... قال له «أحمد»: توقَّف يا «عثمان».

عثمان: إنه جاسوس.

ديفداتا: لا، إنه أحد رجالي ...

عثمان: أي إنه خائن.

أحمد: خائن لَمن ... إنه أسيرٌ واستطاع الفرار.

عثمان: أي إنك تشجع الباقين على الهرب.

أحمد: لا تهذِ يا «عثمان».

عثمان: أليسوا جميعًا أسرى؟

أحمد: لا ليسوا جميعًا أسرى.

عثمان: لا أفهم.

أحمد: لقد كان ذلك بالأمس ... عندما كان بيننا وبينهم قتال.

عثمان: والآن؟

أحمد: الآن هم ضيوفنا إن رغبوا.

عثمان: وإن لم يرغبوا ... يهربوا؟!

راجيف: إنها مسئوليتنا ... وعلينا أن نوضح لهم أنهم ليسوا أسرى ... وأن باستطاعتهم العودة من حيث أتَوا ...

عثمان: سيعودون لقتلنا.

أحمد: سنقول لهم إن من سيعود بنية الحرب سنقتله.

امتلأَت عيونُ «راجيف» بنظراتِ الإعجاب بـ «أحمد» ... وامتلأ قلبُه بحبِّه ... إنه رغم صغر سنِّه ... لديه حكمةُ الكبار ... وليس أي كبار ...

فهناك كبار على أرض جزيرة التمساح ... يستبيحون أموالَ أهلها ودماءَهم ويُنفذون بهم جرائمهم في كل مكان.

فليس كلُّ الكبار لديهم الحكمة.

وليس كل الصغار يفتقدون الحكمة.

البحث عن جاسوس!

كان سؤال «راجيف» لـ «ديفداتا» مباغتًا ... فقد قال له: هل أنت راضٍ عن رحيل أحد رجالك.

ديفداتا: بالطبع لا ...

راجيف: وما حكمك عليه؟

ديفداتا: إنه خائن.

أحمد: لمن؟

نقل «راجيف» السؤالَ إلى «ديفداتا» مترجمًا إلى اللغة الهندية ... فأحنى رأسه في خجل ثم أجاب قائلًا: خائنًا لي ولزملائي.

أحمد: أي ليس لنا.

ديفداتا: ليس بيننا وبينكم حتى الآن اتفاقٌ على شيء.

عثمان: علينا إذن أن نجتمع ببقية الرجال ... وإلَّا فسنخسر كثيرًا.

أحمد: لماذا يا «عثمان»؟

عثمان: لأنهم لو سمعوا قائدهم يقول هذا ... لن يبقى منهم أحدٌ معنا.

إلهام: أنا لا أوافقك الرأي يا «عثمان»؟

عثمان: وماذا ترَين؟

إلهام: أن تحاولوا مع «ديفداتا» أولًا.

كان رأي «إلهام» هو عين الصواب ... لذا فقد اقتنع به كلٌّ من «أحمد» و«عثمان».

وبعد حديث قصير مع «راجيف» تركوا له مهمةَ إقناع «ديفداتا».

وذهبوا هم إلى قاعة الاستقبال التي ينام فيها كلُّ الرجال ... فوجدوهم جميعًا مستيقظين وبعد فترة قصيرة ... لَحِقهم «راجيف» ومعه «ديفداتا».

وما إن التقوا حتى قال «راجيف»: «ديفداتا» انضم إلينا.

أحمد: ورجاله؟

راجيف: هو مسئول عن نفسه فقط.

أحمد: ماذا تقصد؟

راجيف: أن يترك لنا مهمة إقناعهم.

أحمد: لن يساعدَنا؟

راجيف: إنه لا يريد أن يُعلم أحدًا منهم بانضمامه إلينا.

أحمد: ومَن سيقود رجاله؟

راجيف: سينتظر حتى يرحلَ مَن يرحل ... ويقوم بقيادة الباقين.

عثمان: أنا لا أطمئنُّ لهذا الرجل.

لم يستطع «أحمد» أن يناقشَه رأيَه هذا ... لأن صاحبَ القضية يجب أن يكون شجاعًا في الدفاع عنها ... ولا يختبئ مثلما فعل.

أما «راجيف» فقد رأى أن يوافقَه ... ويسايروه ... فهذا كلُّ ما يمكنهم أن يقوموا به الآن ... وبالفعل وافق «أحمد» على رأيِ «راجيف» ... وبدأ حوارًا طويلًا مع كل الموجودين ... أنهاه بقوله: والآن مَن يريد البقاء معنا ... فأهلًا به ... ومَن يريد الرحيل ... فليُعجل ... فليس لدينا الوقت.

وصاح كلُّ رجال «رام روي» طالبين الانضمامَ إلى «أحمد» ... أما «ديفداتا» ... فلم يكن رجاله متحمسين للبقاء ... إلا نفر قليل منهم ... فسمح لهم «أحمد» بالرحيل رغم اعتراض «عثمان» ... وقام بعض رجال «رام روي» بحلِّ رباط الزوارق التي أتَوا بها إلى الجزيرة ليرحلوا بها.

وبعد رحيلهم ... أمر «أحمد» بعضَ رجال «روي» أن يرحلوا خلفهم ... وأن يدخلوا جزيرة التمساح على أنهم فروا من الأَسْر ... ويقوموا بتتبُّع خطواتهم ... ويُرسلوا بها تقارير متتابعة أولًا بأول.

وطلب من آخرين أن يرحلوا أيضًا خلفهم ليستطلعوا أحوال الناس في الجزيرة ... ويعرفوا آراءَهم فيما يحدث.

ورأت «ريما» أن العملية هكذا ينقصها الكثير ... وقد أثار هذا الرأي «عثمان» فردَّ عليها قائلًا: ما لم نرَه ... أخبرينا به.

ريما: يحتاج رجال «رام روي» لواحد منَّا معهم على جزيرة التمساح!

إلهام: لكي يشعروا بالقوة والأمان ... أليس كذلك؟

ريما: ولقيادتهم أيضًا عن قرب.

أحمد: أتقصدين واحدًا من الشياطين؟

ريما: نعم ...

عثمان: فلتذهبي أنت ... فشكلك آسيوي ... ويمكنك الاختفاء بين الرجال.

ريما: أنا أضع نفسي تحت تصرُّف «أحمد» ... إذا كنت الشخص المناسب لهذه المهمة ...

إلهام: ولكنَّ المحاربين لم يكن بينهم فتاة أو امرأة ...

عثمان: وأنا لا أصلح؛ فلستُ أُشبه أبناء تلك المنطقة.

أحمد: سأذهب أنا.

إلهام: لا ... نحن نحتاجك هنا.

وهنا تدخَّل «راجيف» الذي كان متابعًا الحديث منذ بدأ، وطلب أن يقوم هو بهذه المهمة.

ألجمَت المفاجأةُ ألسنةَ الشياطين ... وظلوا على صمتهم للحظات ينظرون لبعضهم في تساؤل قطعه «راجيف» بقوله: ولماذا لا ... ألستُ واحدًا منكم؟

أحمد: نعم يا «راجيف» ولكن ...

راجيف: ولكن ماذا إلا إذا كنت تشكُّ في قدراتي ...

كان «أحمد» واثقًا من قدرات «راجيف» وذكائه ... لذلك لم يكن يجامله حين قال له: لا يا «راجيف»؛ فإن ما رأيناه على الجزيرة من تحصينات ... يدل على مقدرة فائقة على التخطيط والمناورة ...

راجيف: إذن سأقوم أنا بالمهمة.

عثمان: أنا أرى أن «راجيف» هو أنسب واحد فينا لهذه المهمة ... لأنه منهم ... هذا أولًا ...

ريما: وثانيًا ...

عثمان: لأنه يعرف المكان هناك والناس جيدًا ... ويعرف كيف يتحرك بينهم.

أحمد: كل ذلك جيدًا ... ولكنكم نسيتم شيئًا مهمًّا.

انتبه الجميعُ إلى «أحمد» الذي كان يبتسم ... لدهشته منهم، وقال: كيف تنسَون أننا لا نعرف اللغة الهندية؟!

ريما: تقصد أن «راجيف» هو المترجم الوحيد بيننا وبين الهنود؟
أحمد: نعم ...
إلهام: إنه شيء محير ...

الاختيار الصعب!

وكالعادة أطلق «عثمان» صاروخًا أثار دهشةَ الجميع ... حين قال لهم: لماذا لا يقوم «ديفداتا» بذلك؟

وكانت «ريما» أولَ المعلقين ... فهي ترى أن «ديفداتا» لم يُظهر الولاء الكامل بعد ... وأن إيمانه بهم ضعيف ... وقد يجدها فرصة ويهرب ... بل قد يَشِي بكل ما رآه عندهم وسَمِعه، والأكثر من ذلك أنه قد يدفع الباقين من رجاله للهرب معهم.

إلا أن رأى «أحمد» أنه الأنسب لهذه المهمة رغم كلِّ الاعتراضات التي أبدَتها «ريما».

فـ «ديفداتا» لديه المبرر المناسب للعودة ... فهو محارب ذو قوة وخبرة ... وقد يشيع بينهم ... أنه استطاع القضاء على معظم رجالنا وفك أسر مَن فرَّ من الرجال ...

وهنا تدخَّل «عثمان» مرة أخرى قائلًا: لماذا لا يُبالغ «ديفداتا» في تصوُّرِه لجيشنا من حيث العدد والإمكانيات ... فيشجع ذلك المزيد على الدخول في زمرتنا والتمرُّد على «سوبتك»؟

ورأى «أحمد» أن ما يقوله «عثمان» معقول ... ورغم تحفُّظ «راجيف باي» على كل ما قيل إلا أنه وجد نفسه مندفعًا لقبوله ... لا ثقة في «أحمد» ورجاحة عقله فقط ... ولكن لأنها عملية إن لم تنجح فلن تضر ...

واتفقوا جميعًا على أن يُحادثَه «راجيف» في الأمر على سطح اليخت ... ويقوموا هم بمراقبة ردود أفعاله من كابينة القيادة ...

فقد تدلُّهم ردودُ أفعاله على النتيجة التي سيصلون إليها معه ...

وبمجرد أن فاتحه «راجيف» ... حتى تقلَّصَت عضلاتُ وجهه ... وامتزجَت مشاعر الدهشة بالرفض.

فشعر «أحمد» بمدى تمسُّك الرجل بهم وخوفه من ألَّا يعود من حيث سيُرسلونه ...

فعلَّق قائلًا: أنا أشعر بالارتياح لهذه العملية.

ومثلما رحلَت بعضُ الزوارق ببعض رجال «ديفداتا» ... رحلت زوارق أخرى وهو على ظهرها ... ومعه بقية رجاله ...

وقد كانت هذه فكرته ... حتى يظهرَ أمامهم في جزيرة التمساح ... إنه لن يعودَ إلا ومعه كل رجاله ... عدا مَن قُتل على ظهر الجزيرة.

وقام «أحمد» بتزويده بأحد أجهزة الاتصال المتقدمة ليتمكن من متابعة الموقف أولًا بأول ... وثبَّته على صدره بشريط لاصق قوي ... وحذَّره من محاولة خلعه ... لأن ذلك سيؤدي إلى انفجار الجهاز وقتله ...

وقال «راجيف» له: «أحمد» إنها ليست حيلة ... بل هي الحقيقة.

راجيف: وهل سيعيش به طوال عمره؟

ابتسم «أحمد» لطرافة السؤال ... وقال له: بالطبع لا ...

راجيف: وكيف ستخلعه عنه دون أن ينفجر؟

أحمد: هناك رقمٌ سريٌّ مسجلٌ على ذاكرة الجهاز ... مَن يعرفه يتمكن من إيقافه ...

أشرق وجهُ «راجيف» بابتسامةٍ واسعة تعبيرًا عن دهشته.

إلا أنه اقتضب مرة أخرى ... فقد لا يعود الرجل مرة أخرى ... ولذا يهتمُّ بوجود الجهاز ... إلى أن تجدَ له جماعة «سوبتك» حلًّا.

وهنا أخبره «أحمد» أنه سيكون موقفًا لصالحهم أيضًا ...

لأنه لو حدث ... فسيقوم بتفجير الجهاز وقتل كل الموجودين في المكان.

وصاح «راجيف» في دهشة قائلًا: سنفجره عن بُعد؟

أحمد: نعم ...

راجيف: ولكن كيف ستعرف بخيانته عن طريق الجهاز ... وأنت لا تعرف اللغة الهندية؟

أحمد: سأترك لك أنت جهاز المتابعة.

وهكذا تحدَّدَت وظيفةُ كلِّ مَن على الجزيرة ... حتى «رام روي» ... فقد قضى النهار في تدريب بقية الرجال الموجودين معه.

ولم تقع أحداثٌ جديدة في هذا اليوم ولا أثناء الليل.

ولم يكن أمام «أحمد» إلا انتظار ما سيُبلغه به «راجيف».

وقبل أن يخلد إلى النوم ... ظل مترقبًا أكثر من ساعة ... أن يأتيَه بجديد ولكن لم يحدث ... فأسلم جفنَيه للنوم ...

ومرَّ اليوم التالي أيضًا دون جديد ... غير أن بعض الأخبار عن تحركات لـ «ديفداتا» في جزيرة التمساح ... والتقائه بآله وبعض أصدقائه ... وحديثه معهم عن أقاربهم في الهند ... وعن تأثير الديانة الجديدة التي دخلوا فيها على علاقتهم بهم ...

وارتاح «أحمد» لهذه الأخبار ... فهي تدل على أن «ديفداتا» يسير في الطريق المتفق عليه وكذلك مرَّ اليوم الثالث والرابع ولا جديد غير ازدياد أتباع «ديفداتا».

وفي اليوم الخامس، تحرَّكَت مجموعةٌ من الزوارق تحمل على متنها أعدادًا كبيرة من المحاربين ومن بينهم رجال «ديفداتا» وهو على رأسهم.

وعندما علم «أحمد» بالأخبار ... شعر بالقلق ... فهو لا يعلم عن نية هذا الجيش شيئًا.

وقام باستدعاء «رام روي» وأبلغه الأخبار ... وسأله عن استعداده لملاقاة هذا الجيش بما لديه من رجال.

وكان ردُّ «روي» مشجعًا ... فهو يرى أن الجزيرة لديها إمكانيات ... سوف تُساعد العددَ القليل من الرجال على صدِّ أيِّ هجوم مضاد.

ولم يشعر بالاطمئنان ... فقد شغلَت رأسَه أمورٌ أخرى لم يستطع إخفاءَها، فسأل «روي» قائلًا: ألم يخطر ببالك أن أولئك الرجال قد نزلوا على هذه الجزيرة ... ويعرفون دروبها ... وأسرارها؟

رام روي: أعرف ... ولكن لن يعينَه ذلك على شيء.

أحمد: هل أنت متفائل؟

رام روي: جدًّا.

وارتاح كثيرًا لهذه الإجابة وقال له: وأنا أيضًا.

وكان «رام روي» يتابع التنصت على جهاز الاتصال بـ «ديفداتا» أثناء ترجمته للحوار، وفجأة ... أشار لهم ... فتوقفوا عن الحديث ... وانتبه هو إلى ما يسمعه ... ثم التفت إليهم قائلًا: إن زوارق «سوبتك» تقوم بالهجوم على زوارق الرجال القادمين إلى هنا.

الاستغاثة!

عمَّت جزيرة «باي» الفرحة ... بعد أن علم الجميع أن الرجال الفارين عادوا مرة أخرى ... ولم يعودوا وحدهم ... بل ومعهم الكثير من شباب جزيرة التمساح.

غير أنهم لم يستسلموا لمشاعر الفرح ... بل أعدوا عدتهم انتظارًا لتلبية نداء استغاثة قد يصدر منهم.

غير أن «رام روي» طلب أن يخرج لمعاونتهم ... دون انتظار أن يطلبوا منه ذلك.

وعلى بُعد عشرة أميال بحرية عن جزيرة «باي» دارَت معركة شرسة بين رجال «سوبتك» ورجال الجزيرة، وطلب «أحمد» من «باي» أن يأمر «ديفداتا» بأن يستدرجَهم إلى الجزيرة ... وذلك عبر جهاز الاتصال ... ومن على قمة الجزيرة ... وقف «أحمد» يتابع المعركة بنظارته المعظمة.

فرأى زورقًا حربيًّا ضخمًا تابعًا لجيش «سوبتك» ... ومجهزًا بأسلحة حديثة، وعليه الكثير من الجنود والضباط.

وبدَت زوارقُ رجالهم بجانبه كالقط بجوار الديناصور.

وشعر أن الزورق سيُنهي المعركة لصالح «سوبتك».

فرأى أنه يجب أن يكون موجودًا بجوارهم.

وأسرع بالنزول إلى سطح الجزيرة.

وطلب من «باي» إعدادَ اليخت، واستدعاء القرود الموجودة على الجزيرة.

واندهش «عثمان» لذلك الطلب ... غير أنه كان أولَ مَن ركب اليخت.

ثم قام بإدارةِ محرِّكِه ... ووقف خلف عجلة القيادة.

إلى أن طلب منه «أحمد» الانطلاق.

ولم تمضِ دقيقة ... حتى كان يشقُّ ماء المحيط ... و«عثمان» يُوجِّهه بناء على تعليمات «أحمد» ...

ولم تمضِ ربع الساعة ... حتى سمعَا صوتَ طلقات الرصاص المتبادلة بين الفريقين.

وانزعج «أحمد» ... فلو أصابَت صدرَ «ديفداتا» رصاصةٌ ... فقد تخترق الجهاز المثبت عليه وينفجر ... وهو واقف بين رجاله ... وقد يؤدي ذلك إلى كثير من القتلى.

ولاحظ «أحمد» أن حكومة «سوبتك» قد أرسلَت المزيد من الزوارق الحربية مما يعني أن انتصارهم أصبح مؤكدًا إلا إذا أحسنَّا التدخل.

وعن بُعدٍ لمحَهم قائدُ أحدِ زوارق «سوبتك» ... وتحرَّك في اتجاههم.

ووجدها «أحمد» فرصة أن يستدرجَه بعيدًا وينفرد به.

فأشار لـ «عثمان» ... الذي دار باليخت دورةً واسعة ... أغرَت زورق «سوبتك» بمطاردته.

وبمجرد اقترابه منه ... أطلق لليخت العنان ...

ومن خلفه الزورق يشقُّ الماء محاولًا اللحاق به. والأمواج تعلو وتهبط. فيرون بعضهم مرة ... ويختفون مرة أخرى خلفها ... حتى كانت مرة علا فيها الموج ... واختفى اليخت عن الزورق. وعندما هبطَت الموجة ... كانت مجموعة من القرود قد قفزَت إلى الزورق ... فشلَّت تفكيرَ كلِّ مَن عليه وبسرعة البرق ... كانت تقذف بهم إلى مياه المحيط ...

وتسلَّق «عثمان» الزورق وترك لـ «أحمد» اليخت.

وفي مسارَين متوازيَين. انطلقَا كالقذيفة فوق سطح الماء ... ليُحلِّقا برجالهما.

وعن بُعدٍ شاهدَا رجال «سوبتك» يُلقون القبض على «ديفداتا» وأحد رجاله ... وينقلونهم إلى زورقهم العملاق ...

فسقوط «ديفداتا» سوف يجعل اليأس يتسرَّب إلى قلوب رجاله، ولم يكن وحده الذي يفكر بهذه الطريقة ... فقط لاحظ «رام روي» ذلك ... فقام بالصياح وسط رجاله فاندفعوا يصيحون ... مما أثار حماس رجال «ديفداتا»، فانطلقوا هم أيضًا يصيحون.

وتحوَّلَت زوارقهم الصغيرة ... إلى أعاصير ... ترتفع فوق تلال الموج.

وكأنها هي التي تحمله إلى أعلى ... وتهبط معه في ثقة ... وكأنه لم يحتمل ثقلَها.

وتملَّك الحماس من «أحمد»، فصاح في «عثمان» أن ينطلق.

وحول المنطقة الدائرة فيها المعركة ... صنع «عثمان» بزورقه دائرةً واسعة ومن حولها صنع «أحمد» دائرة أوسع.

وكان لذلك أعظم نتيجة ... فقد استطاع أن يُشتتَ انتباهَ رجال «سوبتك» وأن يُشعلَ حماس رجالهم.

وارتفعَت في السماء صرخاتُ الضباط ... بالأوامر وبطلب الحرص. وأوامر متكررة تقول: أَصِب الهدف ... دمِّرهم ...

ووسط انشغالهم بالتعامل معهما ... التقط الرجالُ أنفاسَهم ... وكادوا أن يتمكنوا من تودية دفة المعركة لصالحهم. لولا ضباط الزورق القائد.

فقد تيقَّظوا لما يتم ... فكثفوا من طلقاتهم على الزوارق ... فانقلب أحدها ... وعليه من الرجال خمسة.

وكانت بقية الزوارق حولهم تحاول التقاطهم.

فلم ينجُ منهم في وسط هذه الأمواج المتلاطمة غير ثلاثة.

وكما بدأ «أحمد» يقصر من نصف قطر الدائرة التي يدور فيها ...

فعل «عثمان» ذلك أيضًا ... وقد كان هدفهما أن يُشغلَا ضباط الزورق العملاق عن رجالهما ووسط هذه الجلبة الشديدة ... والتوتر المكثف.

لمح «أحمد» ... «ديفداتا» يضع يدَه على صدره. وشعر بما سيقع.

ودوَّى صوتُ انفجار رهيب على سطح الزورق العملاق ... أطاح بكل ضباطه ... فقد انتزع «ديفداتا» جهاز الاتصال الملغم. فانفجر فيه ... وفي الزورق.

دولة المها باي!

ورغم حزنه الشديد على «ديفداتا» إلا أنه كان سعيدًا به وبما فعل ...

فما فعله يدل على أنه أصبح مؤمنًا شديدَ الإيمان بقضيتهم ... حتى إنه ضحى بنفسه لأجلها ...

وتمنَّى لو أن بقية رجاله كانوا على نفس درجة إيمانه.

وتحقَّقَت أمنيتُه سريعًا ... فقد أخذوا يصيحون باسم زعيمهم الذي ضحَّى بنفسه أمامهم.

وارتفعَت الأمواج وحملَت معها الزورق العملاق ... وتراقصَت به ... فلم يَعُد عليه قائد ...

ووجدها «أحمد» فرصةً لرجاله أن يتسلقوه ... فيساعدهم كثيرًا في التغلب على رجال «سوبتك».

فاقترب منه باليخت ... ثم أطلق سهمًا مربوطًا بحبل ... على جدار كابينة القيادة في الزورق ... فتشبَّثت ... ثم قام بسحبه حتى أصبح قريبًا منه ...

ثم قام بتسلُّق الحبل حتى وصل إلى سطح الزورق ... في الوقت الذي كان «عثمان» يتسلَّق فيه اليخت ...

وأصبح لهما السيطرة على أكثر المركبتين مهارة ...

ولم يمضِ وقتٌ طويل ... إلا وبدأ الزورق يترنَّح ... ويزداد ميله بقوة ... فقد أثَّر فيه الانفجار ...

وفي ثوانٍ معدودات ... كان قد نام على جانبه.

وقبل أنْ يبتلعَه ماءُ المحيط.

كان «أحمد» قد غادره إلى سطح الماء.

ولمحَته زوارق رجاله ... مثلما لمحَته زوارق «سوبتك».

فتسابقَت إليه الزوارق.

فهذه تسعى لتجده.

وتلك تسعى للقبض عليه ... أو قتله.

والموج يرفعُه مرة فيرى الجميع ولا يرونه.

ويُخْفيه أخرى فيراه ولا يراهم.

وخاف «عثمان» من أن ينشغل الرجال بإنقاذ «أحمد» ... فيتمكن منهم رجال «سوبتك»، فأخذ يطوف باليخت حول «أحمد».

ثم رمى له طوقَ نجاة. في الوقت الذي قد تمكَّن منه الإجهاد.

فارتمى عليه ... وأخذ يحاول أن يُدخلَه في رأسه ... أو يُدخل رأسه فيه فلا يكاد ينجح ... إلا ويسحبه منه الموج ... فيسبح خلفه مرة أخرى ...

ومرة بعد أخرى ... حتى كاد أن يستسلم للإجهاد ويغرق ...

شعر بساعدَين قويَّين يُمسكان به من تحت إبطَيه.

ويُدخلانه طوق النجاة حتى صدره ...

ثم يجذبان الحبل.

وقبل أن يرمح في إغفاءة عميقة.

كان «عثمان» قد رفعه إلى سطح اليخت.

وما كاد يُفيق حتى عرَف أن موت الضباط قد أثَّر في رجالهم ... وأنهم بدءوا يستسلمون زورقًا بعد زورق.

وعندما أطلَّ عليهم من على سطح اليخت.

كانوا جميعًا يقفون في زوارقهم ... ينتظرون رؤيته.

وبمجرد أن رأَوه ... أخذوا يصيحون قائلين: «مهاريشي أحمد» ... «مهاريشي أحمد».

لم تسمع أُذُن «أحمد» يومًا ما نداءً أجمل من هذا.

وعبر مكبر الصوت الخاص باليخت ... نادى عليهم ... وسألهم.

أيوافقون على الذهاب إلى جزيرة التمساح الآن ... أم يعودون إلى جزيرة «باي»؟

وتصايح الجميع يطلبون الذهاب إلى جزيرة التمساح.

ومن غرفة قيادة اليخت ... اتصل بـ «راجيف» ... وطلب منه أن يلحق بهم هو و«إلهام» و«ريما» على جزيرة التمساح.

وفي الطريق ... استقبلَتهم عشرات الزوارق ... وقد ملأ صفيرها الفضاء.

وعلَت صيحاتُ التأييد من عشرات الرجال الواقفين على سطحها.

وما إن وصلوا إلى الجزيرة ... حتى عرفوا أن عصابة «سوبتك» وكل من عمل معهم غادروا الجزيرة في طائرة كانت تقف خلف قصر الحاكم ...

وازدحمَت السيارات تحمل «أحمد» ومَن معه لتخترق شوارع الجزيرة ... وسط هتاف السكان الذين اصطفوا على جانبَي الطريق ... حتى وصلوا إلى قصر الحاكم الهارب ... فدخلوا يلتقطون أنفاسهم ... حتى وصل «راجيف» ومعه «إلهام» و«ريما» ... وهم في سعادة لم يشعروا بها من قبل.

ورأى «أحمد» أن يُنهيَ كلَّ شيء في حينه، فقال لـ «باي»: أرجو أن تُعدَّ نفسك ...

باي: لماذا؟

أحمد: سنُوليك حاكمًا للجزيرة.

باي: لا ... لا أريد ... فأنا لا أصلح لهذه المهمة.

أحمد: إنك أنسب الموجودين لها.

إلهام: نعم يا «باي» ... وأنا أرشحك.

ريما: وأنا أيضًا ...

عثمان: أخرج إلى الناس في شرفة القصر.

راجيف: إنهم لا يعرفونني.

وخرج لهم ومعه «باي» إلى شرفة القصر ... فارتجَّت الأرض من قوة صيحاتهم وهم يقولون «مهاريشي أحمد».

– بل «مهاريشي باي» ... قولوا معي «مهاريشي باي».

وتعالَت الصيحات في كل مكان تقول «مهاريشي باي».

في الوقت الذي اتصل فيه رقم «صفر» ليُهنئه بالمنصب.

ويُهنئهم بنجاح العملية.

هنـــداوي